

التأصيل الشرعي للانتماء الوطني

مريم بنت راشد بن صالح التميمي

كلية الآداب للبنات بالدمام جامعة الملك فيصل

الأحساء، المملكة العربية السعودية

الملخص:

إن الوطنية شعور متدفق بالحب، يفيض على اللسان بأجمل كلمات العشق في حال البقاء في الوطن، والاشتياق له في حال البعد عنه. وهي دعاء وعمل سببه صدق الانتماء الذي يولد في قلب الإنسان معاني العزة والشرف، وفي وجدانه مشاعر الفخر والاعتزاز والوطنية والانتماء الوطني دل عليهما النقل والعقل.

أما النقل: فقد دل القرآن في بعض آياته على الحب الذي يربط بين الإنسان ووطنه، كما في آية تحويل القبلة، والدعاء للوطن كما في الآية التي اشتملت على دعاء إبراهيم عليه السلام لمكة وأهلها، ومعاقبة من أفسد في أرضه بالنفي منها كما في آية الحراية، وإباحة مقاتلة الكفار إذا أخرجوا المؤمنين من ديارهم، وظاهروا على إخراجهم.

وكذلك السنة: دلت على الحب الذي كان يملأ قلب رسول الله ﷺ لمكة والمدينة، وأنه لم يخرج اليهود من المدينة إلا حينما أخلوا بأمنها ونقضوا العهد والميثاق، وأن أشد الأيام التي مرت عليه كان يوم أن خرج من مكة إلى الطائف يدعو أهلها فقابلوه بالإيذاء والاعتداء، ولم يتمكن من دخول مكة إلا بجوار مطعم بن عدي، وقد حفظ الرسول ﷺ له جميل فعله معه ولو كان مطعم حياً يوم بدر وطلب ترك الأسرى لتركهم رسول الله ﷺ له رداً للجميل.

وأما العقل: فقد دل على الانتماء الوطني من خلال:

أ. القياس: (قياس الوطن على البيت بجامع حصول الاستقرار والأمان في كل منهما، وقياس الوطن على الأسرة لا سيما الأب في الانتساب والانتماء).

ب. التحسين والتقييح العقلي يدل على أن حب الوطن والانتماء إليه والدعاء له والخوف عليه حسن حيث إن ذلك كله يوافق الطبع، وهو صفة كمال، والله عز وجل عاقب من سعى في الأرض فساداً، ولا يسعى بالفساد والإفساد إلا من عدت لديه الوطنية وافترقت الانتماء لأرضه ووطنه.

الكلمات المفتاحية: الانتماء الوطني، التأصيل الشرعي، الوطنية.

المقدمة:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، و سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

أما بعد:

فإن من نعم الله على الإنسان أن جعل له وطناً كبيراً هو الأرض، سخرها له، وهبها لعيشه واستيطانه، كي يعمرها، ويحقق مبدأ الخلافة الذي ذكره الله عز وجل في قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾⁽¹⁾.

فإن الله عز وجل حينما جعل آدم خليفة حدد خلافته بمكان هو الأرض لأنها قد أعدت وسخرت لخدمته.

فالأرض التي نعيش عليها هي وطننا الكبير، أنشأنا الله منها، واستعمرنا فيها، قال تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾⁽²⁾.

وفي داخل الوطن الكبير (الأرض) يوجد أوطان متعددة، وبيئات متنوعة، وكل واحد منا له وطن ينتمي إليه، ويخاف عليه، يفرح لفرحه ويحزن لحزنه، يسعى لرفعته وعزة أهله، يدافع عنه، ولا يخرج منه إلا لضرورة ألجأته إلى ذلك، وإذا خرج أو هاجر يبقى الحنين إلى وطنه ملازماً له، ودافعاً له على العودة إليه مهما كانت الظروف والأحوال.

ومما يؤسف له أنه ظهر في زماننا فئات قليلة أصبح الشعور الوطني عندهم معدوماً، والانتماء إلى الأرض مفقوداً.

ومما زاد الألم ألماً، والحزن حزناً حينما يدعون أن الانتماء الوطني يتناقض مع الإسلام، وأنه ضرب من العصبية، ومخلفات الجاهلية. ولم يعلم هؤلاء أنهم أخطؤوا

(1) البقرة (30).

(2) هود (61).

خطئاً كبيراً، ولم يدركوا أن الإسلام علمنا ودعانا إلى حب الأوطان، ونشر الخير فيها والأمان.

والأسوأ من ذلك كله حينما تأتي شرذمة مجرمة تدّعي التدين وحب الجهاد، وتبدأ تضلل وتخادع فئة ممن انعدم لديهم الفهم الصحيح للتدين، والوعي، والأمن الفكري، فتجعل منهم الأعداء والخارجين على بلادهم وأوطانهم، فيفجرون ويفسدون زاعمين أنهم مجاهدون، ولم يعلموا أن الجهاد فتح القلوب للإيمان وليس التفجير والتخريب في الأوطان.

أهمية الموضوع:

1. الحاجة الماسة إلى دراسته، حيث لا يخفى على أحد أن الانتماء الوطني لدى الإنسان يعد من أبرز عوامل العطاء، وأداة فعالة لإصلاح كثير من جوانب حياتنا الفردية والاجتماعية، ذلك أن الإنسان حينما يشعر بالولاء لجهة فإنه يعطي لها أكثر مما يأخذ، فيعمل قصارى جهده على الارتقاء بها، والعمل المخلص في سبيلها.
2. تناول الوطنية بمنطلق شرعي سيكون مدخلاً طيباً لإصلاح الكثير من سلوكيات الأفراد في صلتهم بأوطانهم ومجتمعاتهم.
3. لم ينل هذا الموضوع حظه من الدراسة البحثية عامة، والشرعية خاصة التي تؤكد حقيقته، وتجلي مضمونه، وتؤصل له، وترتب على ذلك ندرة المؤلفات والكتب التي تتناوله.

منهج البحث والدراسة:

1. النظر في الآيات القرآنية التي قد تدل أو تشير إلى حب الوطن، والارتباط الوثيق به، والانتماء إليه.
2. الاستدلال بالسنة النبوية المطهرة، التي تدل على حب رسول الله صلى الله عليه وسلم لوطنه، وانتمائه إليه.

3. استخدام الأدلة العقلية التي تؤكد مدى ارتباط الناس بأوطانهم وانتمائهم إليها، من خلال التأمل والاستبطاء، والقياس .
4. الرجوع إلى المصادر قديمة أو حديثة لتوثيق المعلومة باجتهادي ورؤيتي، إذ إن التأصيل الشرعي للوطنية، والانتماء الوطني نادر جدا، وقد يكون سبب ندرته أنه أمر فطري لا يحتاج إلى تأصيل، ولعدم الحاجة إليه في السابق. ولكن الحال تغير اليوم بسبب ضعف الانتماء الوطني، وظهور التطرف الديني الذي يدعو أبناء المسلمين إلى التخريب والتدمير والتفجير في بلادهم باسم الجهاد والإصلاح، يضاف إلى ذلك أن مفهوم الوطنية اليوم غير مفهومها في السابق، حيث كان للمسلمين أرض إسلام يقابلها أرض حرب، أو أرض أمان، فحينما توزع المسلمون في دول ظهر مصطلح الوطن والوطنية.

خطة البحث: قسمت البحث إلى تمهيد وفصلين وخاتمة

- التمهيد: في بيان مفهوم الوطنية، والانتماء الوطني.
- الفصل الأول: التأصيل النقلي للانتماء الوطني، وفيه مبحثان:
- المبحث الأول: دلالة القرآن على الانتماء الوطني.
- المبحث الثاني: دلالة السنة على الانتماء الوطني.
- الفصل الثاني: التأصيل العقلي للانتماء الوطني، وفيه مبحثان:
- المبحث الأول: دلالة القياس على الانتماء الوطني.
- المبحث الثاني: التحسين والتقبيح العقليان ودلالتهما على الانتماء الوطني.
- الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث والدراسة.

التمهيد: مفهوم الوطنية والانتماء الوطني

الوطنية: مأخوذة من وَطَنَ: أي أقام وسكن واستقر⁽¹⁾، والوطن في اللغة: يطلق على مكان إقامة الإنسان، ومقره، وما ينتمي إليه ولد فيه أو لم يولد⁽²⁾.

(1) القاموس المحيط / للفيروز آبادي / مادة وطن.

(2) ينظر معجم مقاييس اللغة / لابن فارس، لسان العرب / لابن منظور، المعجم الوسيط / مادة وطن.

أما الوطن في الاصطلاح: فليس له تعريف محدد، ولعل السبب في ذلك أن مفهوم الوطن واسع، فقد يطلق على "البلاد التي يقيم فيها الإنسان ويتخذها مستقراً له"⁽¹⁾، وقد يطلق على "المنزل الكبير الذي يضم عدداً كبيراً من الأفراد والأسر"⁽²⁾.

وقد يطلق الوطن في العرف السائد اليوم على: الأرض التي تقع تحت سيادة الدولة التي ينتمي إليها الإنسان، ويحمل جنسيتها، فيقال مثلاً: سعودي، مصري، أما الوطنية: فهي "تلك العاطفة القوية التي يحس بها المواطن نحو وطنه العزيز، وتلك الرابطة الروحية التي تشده إليه"⁽³⁾.

والوطنية شعور متدفق بالحب، يفيض على اللسان بأجمل كلمات العشق في حال البقاء فيه، والاشتياق له في حال البعد عنه وهي (الوطنية) دعاء للوطن في حال الرخاء والشدة، وعمل لرفعته وعزته، فهو (العمل) الذي يصدق الشعور والقول أو يكذبه. "ومن ثم صار لفظ الوطنية أداة موضوعة للدلالة على تلك المعاني ولوازمها في حياة الإنسان ووجوده، ليشمل فضل الوطن على الإنسان، وواجبه عليه في آن واحد معاً، بما يستتبع الدفاع عنه، وبذل المال والنفس من أجله، والعمل الدائب في سبيل نهضته ورفعته وتقدمه"⁽⁴⁾.

معنى الانتماء:

الانتماء في اللغة يعني: الانتساب إلى الشيء، يقال: انتمى إليه أي انتسب⁽⁵⁾. أما الانتماء في حقيقته: فلا يخرج عن كونه إحساساً تجاه أمر معين، أو جهة محددة يبعث على الولاء لها، والفخر بالانتساب إليها⁽⁶⁾.

(1) الوطنية ومتطلباتها في ضوء تعاليم الإسلام / أ. د سليمان الحقييل / ص19.

(2) المصدر السابق / ص30.

(3) الوطنية ومتطلباتها في ضوء تعاليم الإسلام / ص30.

(4) الانتماء في ظل التشريع الإسلامي / د. عبدالله النجار / ص29.

(5) ينظر القاموس المحيط / مادة انتمى.

(6) ينظر الانتماء في ظل التشريع الإسلامي / ص22 - 23.

والانتماء المجرد يكشف عن وجود حيثيات تجعل الشيء المنتمى إليه جديراً بتلك النسبة لاعتبارات جلية تقوم في نفس المنتمي، ومن شأن وجودها أن تجعل الإنسان محباً له، فخوراً به، سعيداً بالانتساب إليه، لما يولد ذلك الانتساب في قلبه من معاني العزة والشرف، وفي وجدانه من مشاعر الفخر والاعتزاز، فالحب هو أخطر مظاهر الانتماء لأنه هو الذي يكشف عن وجوده، وهذا الحب لا يتولد من فراغ، ولكنه يجيء وليد مجموعة من الاعتبارات التي يحيها الإنسان، ويعيش بها، ويتشكل كيانه في الحياة من خلالها، فهي تمثل بالنسبة له النعمة في أجلى صورها، والخير في أحلى ألوانه وأجمل معانيه. وعلى هذا النحو فالانتماء في حقيقته لا يخرج عن كونه إحساساً تجاه أمر معين، وحب الوطن مما فطر عليه الإنسان، كحبه لوالديه وأسرته.

والإسلام علمنا أن حب الوطن ليس مجرد شعور إنساني يقتصر على ميول القلب فحسب، بل لابد أن يتخذ شكل السلوك البشري المنضبط الذي يحاسب الإنسان عليه، فيثاب على الوفاء به، ويعاقب على التقصير في واجبه "بل إن حب الوطن في الإسلام إذا أردنا أن نبرز قدر قيمته في نظر الشارع، ونقيسه بمعايير العطاء البشري يتفوق على حب النفس والمال، ويتجاوز حب الأهل والولد... فإذا تعارض الحفاظ عليها مع الدفاع عنه فإنها في سبيل تلك الغاية المقدسة تهون، ومن أجل حب الوطن ترخص"⁽¹⁾.

الفصل الأول: التأصيل النقلي للانتماء الوطني

يظن بعض من الناس أن الانتماء الوطني الأساس فيه العرف⁽²⁾ والعادات والتقاليد، فيرى أن حب الوطن والانتماء إليه إنما تعلمانه من الآباء والأجداد، وما تعارف عليه الناس.

والحق في ذلك أن الأساس في الانتماء الوطني هو الفطرة البشرية، والنصوص

(1) الانتماء في ظل التشريع الإسلامي / ص 104.

(2) العرف: ما تعوده أهل بلد وتعارفوا عليه من عمل أو قول شاع في مجتمعهم وذاع.

للاستزادة ينظر: أصول الفقه / عبد الوهاب خلاف / ص 99، المنهاج الواضح في علم أصول الفقه / عبد المجيد الديباني (2/ 295-299)، المصطفى في أصول الفقه / أحمد الوزير / ص 415 - 417.

الشرعية، وإن وجد الإنسان من نفسه إعراضاً عن وطنه، وضعفاً في انتمائه ووطنيته، فليعلم أنه خالف الفطرة والشريعة، ولو ساءت أحواله في وطنه، فهذا لا يعطيه الحق في أن ينسلخ من وطنيته وانتمائه. والواجب عليه أن يجعل من محمد ﷺ الأسوة والقدوة له، فإنه على الرغم مما قاساه من آلام وإيذاء في مكة لم يثته ذلك عن حبها، والانتماء إليها حتى حينما خرج منها مهاجراً إلى المدينة بقي محباً ووفياً لها. وفي هذا الفصل سأعرض الأدلة من القرآن ومن السنة النبوية التي تدل على الانتماء الوطني، ومدى العلاقة الوثيقة التي تربط الإنسان بأرضه ووطنه في مبحثين:

المبحث الأول: دلالة القرآن على الانتماء الوطني

اشتمل القرآن الكريم على بعض الآيات التي تدل على حب الوطن والتعلق به، والارتباط الوثيق به، وصعوبة الإخراج منه، وما يعانيه المخرجون من أوطانهم من آلام وعدم استقرار، وهذا كله يدل دلالة واضحة على أن الإنسان والأرض شيئان متلازمان، فالأرض تحتاج للإنسان ليعمرها، والإنسان يحتاج إليها لأنه لا يمكنه أن يعيش بلا أرض تؤويه وتحميه. وبالنظر في الآيات القرآنية التي تدل أو تشير إلى حب الوطن، والانتماء إليه نجد أن من أبرزها الآيات التالية:

الدليل الأول: قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾⁽¹⁾.

وجه الاستدلال: أن الله خاطب نبيه الكريم ﷺ بما يكشف في قلبه عن حبه للجهة الكائن فيها بيت الله الحرام، ومن ثم كان قلبه ﷺ معلقاً بهذا البيت المبارك، رغباً في التوجه إليه أثناء الصلاة، وقد جاء أمر الله له بتحويل القبلة إليه متوائماً مع ما يعلمه علام الغيوب الذي يعلم السر وأخفى، كما يعلم ما تضرمه القلوب، وما تتطوي عليه النفوس من حب يمتلئ به قلب النبي ﷺ فجاء الخطاب الإلهي مظهراً لهذا الحب وكاشفاً له، لأن المكان الذي يرضاه الإنسان هو الموطن المحبب إليه، وهذا يدل دلالة

(1) البقرة (144).

واضحة على أن رسول الله ﷺ قد عرف لموطنه مكة ما يميزها عن غيرها من البقاع، ففيها بيت الله الحرام الذي رفع قواعده إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، فأحب أن يحصل هذا الشرف لأرضه المشرفة⁽¹⁾.

الدليل الثاني: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ﴾⁽²⁾.

وجه الاستدلال: أن إبراهيم عليه السلام دعا لمكة وأهلها، وتلك قرينة تبرهن على وجود الانتماء للأرض، والتعلق بالمكان، حيث إن الدعاء يفيد ذلك ويدل عليه، فليس من المعقول أن يلهج اللسان بالدعاء لرب الأرض والسماء بالخير لمكان دون أن يكون حبه قد سبق ذلك الدعاء "ويتضح من هذا الدعاء الكريم مقدار ما يجيش به قلب أبي الأنبياء عليه السلام لموطن أهله، وموئل أمله مع ربه، ومستقر عبادته، فهو علامة على هذا الحب وترجمة له وتعبير عنه"⁽³⁾. فإن قيل: إن مكة ليست موطن إبراهيم عليه السلام بل موطن أهله، والدعاء منه من أجل ذريته التي تركها في مكة ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾⁽⁴⁾.

يجاب عن ذلك بأمرين:

1. أنه إذا كان إبراهيم عليه السلام قد دعا لمكة وهي ليست موطنه وأرضه، فحصل الدعاء منه لمكة مع عدم المقتضي، فمن باب أولى أن يحصل الدعاء للوطن بوجود المقتضي.
2. أنه لا يوجد دليل على أن دعاء إبراهيم عليه السلام مقيد في ذريته، بل العكس هو الصحيح، حيث إن الدعاء في الآية جاء مطلقاً لمكة وأهلها ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا

(1) ينظر التفسير الكبير ومفاتيح الغيب/ للإمام الرازي/ (4/ 100).

(2) البقرة (126).

(3) الانتماء في ظل التشريع الإسلامي/ ص106.

(4) إبراهيم (37).

بَلَدًا آمِنًا وَأَرْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ⁽¹⁾ فالآية واضحة صريحة في أن دعاء إبراهيم عليه السلام كان لمكة بالأمان، ولأهلها بالرزق ومنهم ذريته، ولو كان دعاء إبراهيم لذريته فقط لقال: (وارزق أهلي) ولم يقل: (وارزق أهله).

الدليل الثالث: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ⁽²⁾ .

وجه الاستدلال: أن الله عز وجل جعل مما يعاقب به المحاربون لله ورسوله الساعون في الأرض فساداً النفي من الأرض، والنفي من الأرض معناه كما يدل عليه ظاهر الآية الإخراج والطرده والإبعاد، أي يشردون عن الأمصار والبلدان فلا يتركون يأوون بلداً⁽³⁾، وهذا يدل على أن انتماء الإنسان إلى الأرض وثيق، ولو لم يكن كذلك ما جعل الله النفي من الأرض عقوبة لمن أفسد فيها.

الدليل الرابع: قوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ⁽⁴⁾ .

وجه الاستدلال: أن الله عز وجل نهى عن ولاية الكفار، والبر بهم، والقسط إليهم إذا قاتلوا المسلمين، وأخرجوهم من ديارهم، وظاهروا على إخراجهم، وفي ذلك دلالة واضحة على أن الإخراج من الوطن والمظاهرة عليه توجب العداوة والحرب كالمقاتلة في الدين، وفي ذلك بيان عن أهمية الوطن والعلاقة الوثيقة، والجذور العميقة التي تربط بين المسلم ووطنه.

(1) البقرة (126).

(2) المائدة (33).

(3) ينظر المغني لابن قدامة/ تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، د. عبدالفتاح الحلو (9/ 129).

(4) الممتحنة (8 - 9).

بناء على ما سبق يتضح أن القرآن دل بآياته الكريمة على أن الانتماء الوطني، والوطنية لهما اعتبار عظيم، وكلما سمت النفس الإنسانية وارتقت أحبت وتقاتلت في خيرية وطنها.

والأنبياء عليهم السلام هم أكثر الناس حياً لأوطانهم، وحرصاً على هداية أقوامهم، وازدهار بلادهم.

فإبراهيم عليه السلام دعا لمكة بالأمن والرزق، ونرى أثر ذلك الدعاء المبارك ملموساً وواقعاً محسوساً إلى يومنا هذا، ويوسف عليه السلام جعل من مصر أرضاً غنية تشبع من يجاورها من البلدان، وداوود وسليمان عليهما السلام أسسا دولة عظيمة فرضت هيبتها، وقوتها القائمة على الإيمان العظيم بالله عز وجل، ثم بالهمة العالية وحب التميز الذي طلبه سليمان من الله عز وجل ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾⁽¹⁾، والعمل الدؤوب القائم على الحكمة والعدل، وصفوة الخلق وخاتم النبيين محمد ﷺ جعل من المدينة أرضاً آمنة مطمئنة تجمعها الوحدة والتراحم والتواد والتعاطف - وكانت قبل ذلك تسودها الفتن، وإشعال الحروب والقتال بين قبائلها من الأوس والخزرج - وجعل منها أرضاً مهابة، وجعل من أهلها (الأنصار) ومن أهل مكة (المهاجرين) أمة مجاهدة، قوية بالإيمان والعلم، حملت نور الإسلام إلى شتى بقاع الأرض، ولم ينس رسول الله ﷺ بلده مكة فقد كان يتمنى أن تكون القبلة إليها، وحقق الله له هذه الأمنية. وحينما دخلها ﷺ يوم فتح مكة دخلها دخول المحب المجل لقداسة أرضها، وعظم شأنها عند الله، فطهرها من الأصنام والأوثان، وواجه أهلها الذين أخرجوه وآذوه بالعفو والأمان، وانتهى منها الطغيان، وسادها فتح الله بالتسليم والإيمان. هذا هو حب الوطن الحقيقي تجلى في أبهى الصور من سير صفوة البشر عليهم أفضل الصلاة والسلام.

(1) ص (35).

المبحث الثاني: دلالة السنة النبوية على الانتماء الوطني

تزخر السنة النبوية المطهرة بالأدلة والشواهد على حب رسول الله ﷺ للوطن والانتماء إليه، بل إن ذلك الحب النبوي الوطني لم يكن شعوراً داخلياً قلبياً بل كان لسانه ﷺ يعبر عن ذلك الحب أمام الناس ليعلمهم أن حب الوطن يجب أن يكون في قلوبنا، سارياً على ألسنتنا، واقعاً في سلوكنا وعملنا.

ومن الأدلة النبوية التي نستقي منها دروساً جميلة في حب الوطن ما يلي:

1. أنه حينما نزل جبريل عليه السلام بالوحي على رسول الله ﷺ وعاد خائفاً إلى السيدة خديجة رضي الله عنها وواسته بأحلى الكلام وأصدقاه، ثم انطلقت به إلى ورقة بن نوفل - وهو ابن عمها - فقالت له رضي الله عنها: (اسمع من ابن أخيك، فقال ورقة: ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره النبي ﷺ ما رأى، فقال ورقة: هذا الناموس الذي أنزل على موسى، يا ليتني فيها جذعاً أكون حياً حين يخرجك قومك. فقال رسول الله ﷺ أومخرجي هم؟ فقال ورقة: نعم لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً....)⁽¹⁾.

وجه الاستدلال: قوله ﷺ (أومخرجي هم؟) فيه دلالة واضحة على مدى الانتماء، والحب الوطني الذي يملأ قلب محمد ﷺ لأرضه مكة، ولو لم يكن هذا الانتماء راسخاً لديه لما هممه أن يخرجوه من أرضه أو يتركوه.

2. قوله ﷺ: (والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إليّ ولولا أنني أخرجت منك ما خرجت)⁽²⁾.

وجه الاستدلال: يدل قول المصطفى ﷺ السابق على عظم العلاقة بينه وبين مكة حيث عبر عن ذلك بأنها أحب البلاد إلى الله وهي أحب البلاد إليه ولولا أنه أُلجى إلى الخروج منها ما خرج وذلك حينما عزم قريش على قتله.

(1) أخرجه البخاري في صحيحه / كتاب التعبير / باب أول ما بدئ رسول الله ﷺ من الوحي / رقم الحديث 982 ص 583 /، ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان / باب بدء الوحي إلى الرسول ﷺ / رقم الحديث 403 / ص 704.

(2) أخرجه الترمذي / كتاب المناقب / باب في فضل مكة / حديث رقم 3925 / ص 2052 والحديث إسناده صحيح ورجاله ثقات.

3. قوله ﷺ: (اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد، اللهم بارك في صاعنا وفي مدنا وصححها لنا وانقل حماها إلى الجحفة)⁽¹⁾.

وجه الاستدلال: في هذا الحديث النبوي الشريف يدعو النبي ﷺ أن يرزقه حباً للمدينة كحبه مكة بل أشد، ولم يكتف بذلك بل دعا الله عز وجل أن يصححها من الأوباء والحمى التي كانت فيها، ودعا لها بالبركة في صاعها ومدها، وفي ذلك تعليم لنا من الرسول الكريم ﷺ أن ندعو لأوطاننا بالخير، وأن يزيل الله عنها الشرور والكوارث والأوباء. ولا شك أن الدعاء للوطن من مقومات الوطنية والانتماء الوطني، ودعاء النبي ﷺ للمدينة ليس بمستغرب منه فقد تعلم ذلك من أبيه إبراهيم عليه السلام حينما دعا لمكة.

4. قوله ﷺ بعد عودته من غزوة تبوك (هذه طابة وهذا أحد جبل يحبنا ونحبه)⁽²⁾.

وجه الاستدلال: أن النبي ﷺ سمى المدينة طابة، أي التي يطيب فيها العيش، فهي طيبة وطابة، ثم أشار إلى أحد، وعبر عن الحب المتبادل بينهما، فهو ﷺ كما أحب شعاب مكة وجبالها يبين للصحابة رضي الله عنهم القادمين من تبوك حبه للمدينة وجبالها.

5. أن النبي ﷺ حفظ جميل مطعم بن عدي حيث دخل النبي ﷺ مكة وطاف بالبيت بجواره وبحمائته، حينما منعه قريش من ذلك عندما عاد ﷺ من رحلة الطائف، فحفظ النبي ﷺ له ذلك، حتى إذا حدثت غزوة بدر، وأسر من الكفار من أسر، قال ﷺ: (لو كان مطعم بن عدي حياً ثم كلمني في هؤلاء السبي لأطلقتهم له)⁽³⁾.

وجه الاستدلال: أن النبي ﷺ رأى في موقف مطعم بن عدي معه جميلاً، ومكرمة لا تتسى، حيث إنه أدخله مكة بعد أن منعه قريش، وجعله يطوف بالبيت آمناً مطمئناً، وفي ذلك دلالة على أن المسلم إذا أخرج من بلده ولم يتمكن من العودة

(1) أخرجه البخاري في صحيحه / كتاب فضائل المدينة / رقم الحديث 1889 / ص 147.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه / كتاب الزكاة / باب خرص النمر / رقم الحديث 1481 / ص 1717.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه / كتاب المغازي / رقم الحديث 4024 / ص 328.

إليه إلا بجوار كافر فإنه يعود إلى وطنه، بل ينبغي أن يحفظ للمجبر ولو كان كافراً كريماً صنعه، وجميل فعله اقتداءً برسول الله ﷺ، وهذا كله يدل على اهتمام الإسلام بالانتماء، والاتصال بين الإنسان ووطنه، وبيان العلاقة الوثيقة بينه وبين أرضه.

6. ما روته السيدة عائشة رضي الله عنها أنها قالت لرسول الله ﷺ: يا رسول الله هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ فقال: (لقد لقيت من قومك، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة⁽¹⁾)، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال - من أكابر أهل الطائف من ثقيف - فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم استفق إلا بقرن الثعالب - وهو المسمى بقرن المنازل - فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله عز وجل قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم. قال: فناداني ملك الجبال وسلم علي، ثم قال: يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك، فما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين؟ فقال له رسول الله ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً⁽²⁾.

وجه الاستدلال: أن السيدة عائشة رضي الله عنها كانت تظن أن أشد يوم مر على رسول الله ﷺ هو يوم أحد، حيث كسرت ربايعيته، وسال الدم من وجهه الشريف، واستشهد عدد من الصحابة رضي الله عنهم، وعلى رأسهم عمه حمزة رضي الله عنه. ولكن رسول الله ﷺ بيّن للسيدة عائشة رضي الله عنها أن أشد يوم مر عليه لم يكن يوم أحد، وإنما يوم أن خرج للطائف يدعو أهلها، ولكنهم واجهوه بالإعراض والإيذاء، فاجتمع عليه همان عظيمان هما: هم الإعراض عن دعوته، وهم ترك موطنه وأرضه مكة، والأخير هم جديد يجربه رسول الله ﷺ للمرة الأولى، ولذلك عاد إليها بالرغم من صعوبة الأمر، يدل على ذلك ما

(1) المقصود عقبة بالطائف، وليست عقبة منى التي اجتمع بها الرسول ﷺ مع الأنصار. شرح المواهب اللدنية/ للزرقاني (1/ 298).

(2) أخرجه مسلم في صحيحه/ كتاب الجهاد/ باب ما لقي النبي من أذى المشركين/ رقم الحديث 111/ ص 998.

قاله زيد بن حارثة ﷺ لرسول الله ﷺ - حيث كان معه في تلك الرحلة - كيف تعود يا رسول الله إلى مكة وهم أخرجوك؟ فقال ﷺ: يا زيد إن الله جاعل لما ترى فرجاً ومخرجاً، وإن الله ناصر دينه ومظهر نبيه، ثم أرسل رجلاً من خزاعة إلى مطعم بن عدي يخبره أنه داخل مكة في جواره، فاستجاب مطعم لذلك، ودخل رسول الله ﷺ مكة⁽¹⁾.
فإن قيل: ليس في الرواية ما يدل على أن حزن الرسول ﷺ وألمه الشديد في ذلك اليوم بسبب أنه خرج من مكة ولم يتمكن من دخولها بسهولة، حيث لا يوجد في كلامه ما يشير إلى أن الحزن لأجل الأرض والوطن، وفي ذلك تحميل للرواية مالا تحتمل. وحزنه ﷺ في ذلك اليوم إنما هو لعدم قبول أهل الطائف الدعوة.

يجاب عن ذلك: بأن يقال أيهما أشد وقعاً وألماً على رسول الله ﷺ إعراض أهل الطائف عن الدعوة، أم إعراض أهل مكة؟

لا شك أن إعراض أهل مكة أشد عليه؛ لأنها موطنه، وفيها أهله وعشيرته المأمور ﷺ بإنذارهم والبدء بدعوتهم ﴿أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾⁽²⁾.

وإذا كان الأمر كذلك: فإن الذي جعل أشد يوم مر على رسول الله ﷺ هو يوم أن خرج للطائف اجتماع حزان وألمان عليه، خروجه من مكة وصعوبة دخوله ﷺ لها، وإعراض أهل الطائف عنه.

والذي يؤيد أن لخروجه من مكة أثراً شديداً في حزنه وألمه حفظه ﷺ لجميل مطعم بن عدي، وبقاء ذلك الجميل ملازماً له ﷺ حتى بعد مرور عشر سنوات، وحدث غزوة بدر، ووقوع بعض من كفار قريش في الأسر، قال ﷺ: (لو كان مطعم بن عدي حياً ثم كلمني في هؤلاء السبي لأطلقتهم له)⁽³⁾.

7. أن النبي ﷺ لم يجل اليهود ويحاربهم لأنهم رفضوا الدخول في الإسلام، وإنما أجلاهم وحاربهم بسبب إخلالهم بالمعاهدة وأمن المدينة، ومجاهرتهم بالعدوان⁽⁴⁾،

(1) ينظر زاد المعاد/ لابن القيم (3/ 32-33) فقه السيرة (1/ 152)، الرحيق المختوم/ المباركفوري/ ص127.

(2) الشعراء (214).

(3) سبق تخريجه.

(4) ينظر السيرة النبوية الصحيحة/ د. أكرم ضياء العمري (1/ 307).

وهذا يدل على أن الإخلال بأمن الوطن ومحاولة الإفساد فيه أشد ضرراً من البقاء على الكفر؛ لأن البقاء على الكفر وعدم الدخول في الإسلام ضرره خاص بصاحبه، أما الإخلال بأمن الوطن، والإفساد فيه فضرره عام على الأمة. يضاف إلى ذلك أن الإنسان مجبر على تنفيذ أمن الوطن وعدم الإفساد فيه، وليس بمجبر على الإسلام؛ لأن الله قال ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾⁽¹⁾.

يتضح مما سبق من الأدلة والشواهد عمق الوطنية التي كانت تملأ قلب رسول الله ﷺ، فهو كما أحب مكة بجبالها وسهولها وشعابها أحب المدينة، وأخذ الصحابة ﷺ ذلك الحب، وذلك الانتماء، فهذا بلال ﷺ يصوغ حب مكة شعراً على لسانه وهو يصارع الحمى التي أصابت المهاجرين في المدينة، فكان ﷺ إذا أقلعت عنه الحمى يرفع صوته ويقول⁽²⁾:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة
بوادٍ وحولي إذ خر⁽³⁾ وجليل⁽⁴⁾
وهل أردن يوماً مياه مجنة
وهل يبدون لي شامة⁽⁵⁾ وطفيل⁽⁶⁾

الفصل الثاني: التأصيل العقلي للانتماء الوطني

الإنسان مخلوق متميز، حباه الله بالعقل، ومنّ عليه بنعمة التفكير، إلا أن العقل المجرد لا يمكن أن يصل بالإنسان إلى إدراك كل جوانب الحقيقة في الأمور لضعف إدراكه، وقصور خبرته.

ومن مظاهر رحمة الله بالإنسان أنه قدّر فيه مثل هذا الضعف، فلم يترك العقل وحيداً في جهاده للوصول إلى الحق، فأرسل الرسل مبشرين ومنذرين؛ لترشيد عمل

(1) البقرة (256).

(2) ينظر السيرة النبوية / لابن هشام / حققها وضبطها وشرحها ووضع فهرسها: مصطفى السقا، إبراهيم الإياري، عبدالحفيظ شلبي (2 / 201)، السيرة النبوية الصحيحة (1 / 222).

(3) الإذخر: نبات طيب الرائحة.

(4) الجليل: الثمام، وهو نبت ضعيف. لسان العرب مادة جلل.

(5) (6) جبلان بمكة. السيرة النبوية / لابن هشام (2 / 201).

العقل في الحياة، ومساعدته للوقوف على جوانب الخير في التشريع. فإذا ما توافق الشرع مع العقل كان العمل بحكم المسألة أولى وأرجح، وإذا ما اختلف منهج العقل مع ما قرره الشرع كان ما قرره الشرع هو الواجب الاتباع، ولا يكون لما انتهى إليه العقل في تلك الحالة أي أثر من ناحية العمل به⁽¹⁾.

وفي علاقة العقل بالشرع يقول الإمام الغزالي: "إن العقل لن يهتدي إلا بالشرع، والشرع لا يبين إلا بالعقل، فالعقل كالأساس والشرع كالبناء، ولن يغني أساس ما لم يكن بناء، ولن يثبت بناء ما لم يكن أساس، العقل كالبصر والشرع كالشعاع، ولن يغني بصر ما لم يكن شعاع من خارج، ولن يغني الشعاع ما لم يكن البصر. العقل كالسراج والشرع كالزيت الذي يمدده، فما لم يكن زيت لم يحصل السراج، وما لم يكن سراج لم يضيء الزيت". ثم يقول: "الشرع عقل من الخارج، والعقل شرع من الداخل، وهما متعاضان بل متحدان، ولكون الشرع عقلاً من الخارج سلب الله تعالى اسم العقل عن الكافر في غير موضع من القرآن الكريم نحو قوله تعالى: ﴿صُمُّ بَكْمٌ عُمِّي فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾⁽²⁾، ولكون العقل شرعاً من الداخل قال تعالى: ﴿فَطَوَّرَهُ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾⁽³⁾ ولكونهما متحدان قال سبحانه: ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾⁽⁴⁾، أي نور العقل ونور الشرع⁽⁵⁾.

بناء على ما سبق يتضح مدى العلاقة الوثيقة بين العقل والشرع، ولذلك بنيت كثير من الأحكام الشرعية على العقل المسترشد بالنقل.

والتأصيل العقلي للانتماء الوطني بعد النظر والتأمل فيه وفيما يمكن استنباطه من أدلة عقلية للانتماء الوطني والوطنية قسمته إلى مبحثين:

(1) ينظر الموافقات/ للشاطبي (1 / 87).

(2) البقرة(171).

(3) الروم(30).

(4) النور(35).

(5) معارج القدس (1 / 57).

المبحث الأول: دلالة القياس على الانتماء الوطني

القياس أصل الرأي، ومجال الاجتهاد، وبه تثبت كثير من الأحكام، وهو حجة عند العلماء من الصحابة رضي الله عنهم فمن بعدهم إلا الظاهرية⁽¹⁾. والقياس هو: "حمل معلوم على معلوم في إثبات حكم لهما، أو نفيه عنهما بأمر جامع بينهما"⁽²⁾.

وكما دل القرآن والسنة على الوطنية وأهمية الانتماء الوطني لدى الإنسان كذلك القياس عن طريق الصورتين التاليتين:

الصورة الأولى: قياس الوطن على البيت بجامع الاستقرار والأمان في كل منهما، فكما أن الإنسان لا يستقر إلا في بيته فكذلك حاله مع وطنه، لا يشعر بالاستقرار إلا فيه، والبيت جزء من الوطن، فيلزم من تحقق الانتماء إلى البيت تحقق الانتماء إلى الوطن. فإن قيل: لا يلزم من تحقق الجزء (الانتماء إلى البيت) تحقق الكل (الانتماء إلى الوطن) فالجواب: بل يلزم؛ لأن نفي الكل يلزم منه نفي الجزء.

وقد شبه القرآن الكريم الوطن بالبيت في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾⁽³⁾. ومما يدل على أن المراد بالبيت هنا الوطن هو قوله (مهاجرا) ولا شك أن الخروج من البيت لا يسمى هجرة، إنما تطلق الهجرة على الخروج من الوطن، وتسمية المولى عز وجل الوطن بيتا في الآية يدل دلالة

(1) للاستزادة ومعرفة أدلة من يحتج به ومن لا يحتج به ينظر: إحكام الفصول / للبايجي / تحقيق: عبد الله الجبوري / ص 477، شرح تنقيح الفصول / للقراي / ص 385، الوصول إلى علم الأصول / لابن برهان (2/ 232)، نهاية السؤل / للأسنوي (3/ 10)، المسودة / لآل تيمية / ص 327، المستصفي / للغزالي (2/ 239)، الإحكام لابن حزم (7/ 5)، البحر المحيط / للزركشي (5/ 16 - 26)، التنقيحات في أصول الفقه / شهاب الدين السهروردي / تحقيق: د. عياض السلمي / ص 247، الأنجم الزاهرات على حل ألفاظ الورقات / المارديني الشافعي / تحقيق: د. عبد الكريم النملة / ص 25، السراج الوهاج في شرح المنهاج / للجابردى / تحقيق: د. أكرم أزيقان (2/ 856)، إرشاد الفحول / للشوكاني (3/ 672).

(2) تقريب الوصول إلى علم الأصول / لابن جزى الكلبي / تحقيق ودراسة: د. محمد المختار الشنقيطي / ص 345.

(3) النساء (100).

واضحة على أن الوطن بيت الإنسان الواسع، وكما أن الإنسان لا يمكنه العيش بدون بيت يؤويه ويحميه فكذلك لا يمكنه أن يعيش بدون وطن ينتمي إليه ويخاف عليه .
 الصورة الثانية: قياس الوطن على الأسرة لاسيما الأب في الانتساب والانتماء، ولا يعرف قيمة الانتساب والانتماء إلا من حرم منهما من الناس الذين عاشوا لا يعرفون لهم أسرة، ولا أبا ينتمون إليه .
 وإذا كانت حاجة الإنسان شديدة إلى أسرة ينتمي إليها فحاجته أشد إلى وطن ينتمي إليه.

ومما هو جدير بالذكر: أن كثيرا من العلماء ألحقت بأسمائهم مواطنهم، كالحسن البصري، وابن قدامة المقدسي، والراغب الأصفهاني، والشريف الجرجاني وغيرهم كثير...، بل إن بعضهم اشتهر باسم وطنه أكثر من اسمه واسم أبيه كالإمام البخاري، والقرطبي، والقرايبي، والباقي.... من خلال ما تقدم من صورتي القياس يمكن القول: بأنه كما دل القرآن والسنة على الانتماء الوطني دل القياس على ذلك أيضاً، وبذلك تتضافر الأدلة في إثبات حقيقة الانتماء الوطني لدى الإنسان، وأنه ليس ضرباً من العصبية أو مخلفات الجاهلية، وإنما هو أمر فطري دلت عليه الآيات والأحاديث والأقيسة.

المبحث الثاني: التحسين والتقبيح العقليان ودلالاتهما على الانتماء الوطني

الحسن والقبح يطلقان بثلاثة إطلاقات⁽¹⁾ :

أحدها: أن الحسن ما وافق الطبع أو الغرض، والقبح ما خالفه، مثل: إنقاذ الغريق حسن، واتهام البريء قبيح.

والثاني: أن الحسن ما كان صفة كمال، والقبح ما كان صفة نقص، مثل: العلم حسن، والجهل قبيح.

والثالث: أن الحسن ما مدحه الله، والقبح ما ذمه الله وعاقب عليه⁽²⁾ .

(1) تقريب الوصول/ ص240 - 244، البحر المحيط/ للزرکشي (1/ 143).

(2) وفي هذا وقع الخلاف، فقال الأشعري إنه لا يعلم ولا يثبت إلا بالشرع.

وبالنظر في تلك الإطلاقات الثلاثة وتطبيقها على الانتماء الوطني والوطنية، فإنه يمكن القول:

1. أما بالنسبة للإطلاق الأول وهو أن الحسن ما وافق الطبع، والقبيح ما خالفه، فإن الوطنية وحب الوطن أمر حسن؛ لأنه يوافق الطبع، فإن الله عز وجل فطر الإنسان على الانتماء لأرضه وأهله ولغته. وكم هو قبيح ألا يحب الإنسان وطنه، ولا يستشعر نعمة الوطن، ويفتقد الانتماء إلى أرضه ووطنه. وكل العقلاء يجمعون على أن حب الوطن والانتماء إليه والوفاء له أمر حسن، والقبيح عكس ذلك.
2. وأما من يرى أن الحسن ما كان صفة كمال، والقبيح ما كان صفة نقص فإن الانتماء الوطني والوفاء للوطن صفة كمال، ولو لم تكن كذلك لما اتصف بها الأنبياء عليهم السلام، ومنهم صفوة الخلق محمد ﷺ حيث كان محباً أشد الحب لمكة والمدينة، وكما هو مقرر ومعروف أن الأنبياء لا يمكن أن يتصفوا بصفة نقص؛ لأن ذلك يتعارض مع منزلة النبوة التي اختارهم الله لها.

وقالت المعتزلة: بل العقل اقتضى ثبوته قبل الرسل صلوات الله عليهم، ولا يفترق في معرفته إلى الشرع إلا أنهم جعلوه ثلاثة أقسام:

- 1- قسم علمه العقل ضرورة، كحسن الصدق النافع، وقبح الكذب الضار.
- 2- وقسم علمه العقل نظراً، كحسن الصدق الضار، والكذب النافع.
- 3- وقسم لم يصل إليه العقل، كوجوب صيام آخر يوم من رمضان وتحريم أول يوم من شوال. والأولان ورد الشرع مؤكداً لما علمه العقل فيهما، والثالث ورد الشرع فيه مظهراً لما لم يصل العقل إليه. وعند الأشعري أن الشرع هو الذي أنشأ الحسن أو القبح في الجميع، فإنه لا يثبت حكم قبل ورود الشرائع. وقال الأبهري: الأشياء قبل الشرع على المنع. وقال أبو الفرج على الإباحة. وتوقف غيرهما. تتظر هذه المسألة في تقريب الوصول إلى علم الأصول / ص 241 - 244، البحر المحيط (1/ 142 - 148)، إحكام الفصول / للباقي / ص 609، المستصفي / للغزالي (1/ 55 - 63)، الموافقات / للشاطبي (2/ 37 - 41)، الإحكام / لابن حزم (1/ 58)، البرهان / للجويني (1/ 99)، شرح تنقيح الفصول / للقراي / ص 88.

3. وأما من يرى أن الحسن ما مدحه الله والقبيح ما ذمه الله وعاقب عليه فهذا متحقق في الانتماء الوطني والدلائل على ذلك كثيرة منها:

أ. معاقبة الله عز وجل لمن حارب الله ورسوله وسعى في الأرض فساداً بالظني من الأرض، ولا شك أن من يفسد في الأرض يفتقد الانتماء إليها؛ إذ لو كان منتمياً إليها ومحباً لها لأصلح فيها بدلاً من أن يفسد، والجزاء من جنس العمل؛ فيعاقب ذلك المفسد الفاقد للانتماء بالظني من الأرض.

ب. محاربة رسول الله ﷺ ليهود بني قينقاع حينما أدخلوا بالأمن داخل المدينة، ولم يلتزموا بالمعاهدة الوطنية التي أبرمها رسول الله ﷺ معهم⁽¹⁾، ويهود بني النضير⁽²⁾ حينما تآمروا على المدينة من خلال تأليب القبائل العربية ضد رسول الله ﷺ وأهل المدينة، وإقناعهم يهود بني قريظة بنقض العهد⁽³⁾.

بناء على ما سبق يتضح أن الوطنية والانتماء الوطني مما يحسن للإنسان أن يتصف به، لأن حب الوطن والانتماء إليه يوافق الطبع، وهو صفة كمال حيث اتصف بها خير البشر الأنبياء والمرسلون وعلى رأسهم رسول الله ﷺ، والشارع عاقب من يخل بأمن الوطن وواجبه.

ومما هو جدير بالذكر أنه لا يشعر بقيمة الأوطان الحقيقية وحسن العيش فيها، وقبح الإخراج منها إلا العظماء من الناس.

(1) ينظر السيرة النبوية الصحيحة (1/ 300).

(2) لمعرفة كيف تم إجلاؤهم يرجع إلى السيرة النبوية الصحيحة (1/ 306-311).

(3) محاربة رسول الله ﷺ لبني قريظة كانت بأمر من السماء، حيث أتى جبريل عليه السلام إلى رسول الله ﷺ لما رجع من الخندق ووضع السلاح، فقال له جبريل عليه السلام: قد وضعت السلاح؟ والله ما وضعناه، فاخرج إليهم. قال: فألى أين؟ قال: ها هنا وأشار إلى بني قريظة. فخرج النبي ﷺ إليهم ونادى في المسلمين: (ألا لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة) وحاصرهم وهم متحصنون في حصونهم حتى جهدهم الحصار، وقذف في قلوبهم الرعب وانتهى أمرهم بأن جعل رسول الله ﷺ الحكم عليهم إلى سعد بن معاذ الذي حكم فيهم بأن تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم. فقال ﷺ: (قضيت فيهم بحكم الله).

الأحاديث أخرجها البخاري في صحيحه / كتاب المغازي / باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة ومحاصرته إياهم (4117)(4119)(4121) / ص 337.

يدل على ذلك: أن عمر رضي الله عنه كان رجلاً قوياً مهيّباً، وكان - قبل إسلامه - يؤذي المسلمين ويشتد عليهم، قال سعيد بن زيد وهو ابن عم عمر وزوج أخته فاطمة بنت الخطاب: "والله لقد رأيتني وإن عمر لموثقي على الإسلام قبل أن يسلم"⁽¹⁾، وهذا الرجل الشديد (عمر) حينما رأى أم عبدالله بنت أبي خيثمة تستعد للرحيل إلى أرض الحبشة قال لها: "إنه الانطلاق يا أم عبدالله؟ فقالت أم عبدالله: نعم، والله لنخرجن إلى أرض الله، أذيتمونا وقهرتمونا حتى يجعل الله لنا مخرجاً. فقال عمر: صحبكم لله. قالت أم عبدالله: ورأيت له رقة لم أكن أراها ثم انصرف وقد أحزنه خروجنا"⁽²⁾.

فعمر لم يحزنه إيذاء المسلمين في مكة، بل كان يشارك في إيذائهم، والذي أحزنه إخراج الإنسان من وطنه.

فكان عمر يعلمنا - حتى قبل أن يسلم - أن خروج الإنسان من وطنه مهاجراً بسبب إيذائه ليس بالأمر الهين، فإن المهاجر وإن فر بدينه ونفسه إلى أرض آمنة تبقى آلام مفارقة الوطن والأرض موجودة. وكم هو جميل أن نفهم ما فهمه عمر، وندرك ما أدركه.

الخاتمة:

وبعد استعراض تلك الأدلة والتأصيلات يمكن استخلاص النتائج التالية:

1. أن الوطنية ليس لها مفهوم محدد، وإنما هي مصطلح واسع، فهي تصلح أن تطلق على حب الوطن، والتفاني في خدمته، والوفاء له، والدعاء له بالخير والبركة، والسعي لرفعته وعزته، والخوف عليه. وهي الرابطة الوثيقة بين الإنسان وأرضه التي لا يمكن أن تنفك ولو خرج الإنسان من وطنه.
2. أن الانتماء الوطني معناه الانتساب وبه يحصل الحب والولاء الوطني، إذ بوجوده (الانتماء) يوجد الحب والولاء، وبانعدامه ينعدم الولاء، فهو السبب في وجود الوطنية ورسوخها.

(1) صحيح البخاري/ كتاب مناقب الأنصار/ باب إسلام سعيد بن زيد رضي الله عنه/ رقم الحديث 3862 / ص 314.

(2) السيرة النبوية الصحيحة (1/ 177).

3. أن الوطنية والانتماء الوطني مما فطر عليه الإنسان، ودلت عليه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وهذا يدل على أن من افتقد الوطنية وحب الوطن فقد خالف الفطرة والدين.
4. الانتماء الوطني له أصل في كتاب الله، حيث دلت عليه أكثر من آية، من ذلك: تحويل القبلة إلى البيت الحرام بتعلق رسول الله ﷺ بمكة، ولما يشعر به من حب شديد لها وانجذاب إلى جهتها. ودعاء إبراهيم عليه السلام لمكة. وجواز مقاتلة الكفار إذا أخرجوا المسلمين من ديارهم وظاهروا على إخراجهم. والنفي من الوطن والأرض لمن سعى في الأرض فسادا وحارب الله ورسوله.
5. الانتماء الوطني له أصل في سنة المصطفى ﷺ تمثل ذلك فيما وصل إلينا من مشاعره الفياضة التي عبر عنها ﷺ بأقوال وأفعال تبين حبه الشديد لمكة، وحبه للمدينة وجبل أحد ودعائه لها، وحرصه على تلاحم مجتمعها بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وإبرام المعاهدات الوطنية مع اليهود ليسود المدينة الأمانة والاطمئنان، ومحاربتة ﷺ لهم حينما أخلوا بالواجب الوطني تجاه المدينة وأهلها فحاربهم وأجلاهم لانعدام حب الأرض وأهلها في نفوسهم.
6. العقل يؤيد الانتماء الوطني ويدعو إليه من خلال:
- أ. القياس: أي قياس الوطن على البيت بجامع الاستقرار والأمان في كل منهما، وقياسه على الأسرة لا سيما الأب في الانتماء والانتساب.
- ب. التحسين والتقييح العقليان يدلان على الوطنية، فالانتماء الوطني مما يوافق الطبع وهو صفة كمال، وصفة مدح، وعاقبت الشريعة من أخل بأمر وطنه وأفسد فيه حيث دل على ذلك القرآن والسنة.

المراجع:

القرآن الكريم.

ابن الوزير، أحمد بن محمد بن علي. المصنف في أصول الفقه، دار الفكر المعاصر بيروت - لبنان، الطبعة الأولى 1417هـ - 1996م.

ابن جزري، محمد بن أحمد الكلبي الفرناطي المالكي (693 - 741هـ). تقريب الوصول إلى علم الأصول، تحقيق ودراسة وتعليق: د. محمد المختار بن الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، الناشر مكتبة ابن تيمية القاهرة، مكتبة العلم بجدة. الطبعة الأولى 1414هـ.

ابن فارس، أحمد بن زكريا، أبو الحسين (المتوفى سنة 395هـ). معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط: عبدالسلام هارون، دار الكتب العلمية إيران.

ابن قدامة، عبدالله بن أحمد بن محمد (المقدس 541 - 620هـ). المغني، تحقيق: الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي، د. عبدالفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان القاهرة، الطبعة الأولى 1409هـ - 1989م.

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي، (691 - 751). زاد المعاد في هدي خير العباد، حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط وعبدالقادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة السادسة عشر 1408هـ - 1988م.

ابن ماجه، محمد بن يزيد الربيعي، الحافظ أبو عبدالله القزويني (209 - 73هـ). سنن ابن ماجه، بإشراف ومراجعة: فضيلة الشيخ صالح بن عبدالعزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، دار السلام للنشر والتوزيع - الرياض.

ابن منظور، محمد بن مكرم الإفريقي المصري، أبو الفضل جمال الدين. لسان العرب، دار صادر بيروت، الطبعة الأولى 1410هـ - 1990م.

الأسنوي، عبدالرحيم بن حسن (المتوفى سنة 772هـ). نهاية السؤل في شرح منهاج الأصول للقاضي ناصر الدين عبدالله بن عمر البيضاوي (المتوفى سنة 685هـ)، ومعه حواشيه المسماة سلم الوصول لشرح نهاية السؤل للشيخ محمد بخيت المطيعي، عالم الكتب.

الباجي، سليمان بن خلف (المتوفى سنة 474 هـ). إحكام الفصول في أحكام الأصول، تحقيق ودراسة: عبدالله بن محمد الجبوري، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الأولى 1409 هـ - 1989م.

البوطي، محمد سعيد رمضان. فقه السيرة النبوية، دار الفكر دمشق - سوريا، دار الفكر المعاصر بيروت - لبنان 1419 هـ - 1998م.

الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى (200 - 279 هـ). جامع الترمذي، الجامع المختصر من السنن عن رسول الله ﷺ ومعرفة الصحيح والمعلول وما عليه العمل، بإشراف ومراجعة: فضيلة الشيخ صالح بن عبدالعزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، دار السلام للنشر والتوزيع - الرياض.

آل تيمية، مجد الدين أبو البركات السلام بن عبدالله بن الخضر، شهاب الدين أبو المحاسن عبدالحليم بن عبدالسلام، شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم، المسودة في أصول الفقه، جمعها وبيضاها: شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن عبدالغني الحراني الدمشقي (المتوفى سنة 745 هـ)، تقديم: محمد محيي الدين عبدالحميد، مطبعة المدني - القاهرة.

الجاربردي، أحمد بن حسن بن يوسف (664 - 746 هـ). السراج الوهاج في شرح المنهاج، قدم له وحققه وعلق عليه: د. أكرم بن محمد أوزيقان، دار المعراج الدولية - الرياض، الطبعة الثانية 1418 هـ - 1998م.

الجويني، عبدالملك بن عبدالله بن يوسف، إمام الحرمين أبو المعالي (419 - 478 هـ). البرهان في أصول الفقه، حققه وقدمه ووضع فهرسه: الدكتور عبدالعظيم محمود الديب. دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع المنصورة، الطبعة الثالثة للكتاب، الأولى للنشر 1412 هـ - 1992م.

الحقيل، سليمان بن عبدالرحمن. الوطنية ومتطلباتها في ضوء تعاليم الإسلام، إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - الرياض، الطبعة الثالثة 1417 هـ - 1996م.

خلاف، عبدالوهاب. علم أصول الفقه، دار الحديث - القاهرة 1423 - 2003م، الطبعة السابعة.

- الديباني، عبدالمجيد بن عبدالحميد. المنهاج الواضح في علم أصول الفقه وطرق استنباط الأحكام منشورات جامعة قار يونس. الطبعة الأولى 1995م.
- الرازي، محمد، فخر الدين، المشتهر بخطيب الري. التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة الأولى 1411هـ - 1990م.
- الزركشي، محمد بن بهادر بن عبدالله الشافعي، بدر الدين (745 - 794هـ). البحر المحيط، قام بتحريره: الشيخ عبدالقادر عبدالله العاني، وراجعته: د. عمر سليمان الأشقر. دار الصفوة للطباعة والنشر والتوزيع بالگردقة، الطبعة الثانية 1413هـ - 1992م.
- السهروردي، يحيى بن حبش (المتوفى سنة 587هـ). التقيحات في أصول الفقه، حققه وقدم له وعلق عليه: د. عياض بن نامي السلمي، مكتبة الملك فهد الوطنية، الطبعة الأولى 1418هـ.
- الشاطبي، إبراهيم اللخمي الغرناطي، أبو إسحاق (المتوفى سنة 790هـ). الموافقات في أصول الأحكام، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (المتوفى سنة 1255هـ). إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، إعداد: مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار الباز، مكتبة نزار مصطفى الباز مكة المكرمة، الرياض الطبعة الأولى 1417هـ - 1997م.
- العمرى، أكرم ضياء. السيرة النبوية الصحيحة، مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة، الطبعة الخامسة 1413هـ - 1993م.
- الغزالي، محمد بن محمد بن محمد، أبو حامد (المتوفى سنة 505هـ). المستصفي من علم الأصول (مع فواتح الرحموت) ، دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان.
- الغزالي، محمد بن محمد بن محمد، أبو حامد (المتوفى سنة 505هـ). معارج القدس، دار الآفاق الجديدة - بيروت، الطبعة الثانية 1975م.
- الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب (المتوفى سنة 817هـ). القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية 1407هـ - 1987م.

القرايفي، أحمد بن إدريس ، شهاب الدين أبو العباس (المتوفى سنة 684هـ). شرح تنقيح الفصول في اختصار المحصول في الأصول، حققه: طه عبدالرؤوف سعد، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان، الطبعة الأولى 1393هـ - 1973م.

القسطلاني، أحمد بن محمد (المتوفى سنة 923هـ). المواهب اللدنية بالمنح المحمدية مع شرح الزرقاني، دار الكتب العلمية - بيروت، طبعة 1293هـ.

المارديني، محمد بن عثمان بن علي الشافعي (المتوفى عام 871هـ). الأنجم الزاهرات على حل ألفاظ الورقات في أصول الفقه، قدم له وحققه وعلق عليه: د. عبدالكريم النملة، الطبعة الأولى 1415هـ - 1994م.

المباركفوري، صفي الرحمن. الرحيق المختوم، دار الحديث - القاهرة، الطبعة الثانية 1415هـ - 1995م.

مجمع اللغة العربية. المعجم الوسيط، قام بإخراجه: إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيات، حامد عبدالقادر، محمد علي النجار، أشرف على طبعه: عبدالسلام هارون، المكتبة العلمية طهران.

مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (206 - 261هـ). المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله ﷺ (صحيح مسلم) ، بإشراف ومراجعة: فضيلة الشيخ صالح بن عبدالعزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، دار السلام للنشر والتوزيع - الرياض.

النجار، عبدالله مبروك. الانتماء في ظل التشريع الإسلامي، الناشر: المؤسسة العربية الحديثة - القاهرة.

The Legitimate Origin of Patriotism

Maryam Rashed Saleh Al-tamimi

Girls College of Arts, King Faisal University,
Dammam, Saudi Arabia

Abstract:

Patriotism is a spontaneous overflowing of love, reflecting on the tongue with the best words of adoration when staying in the country and homesickness when leaving it. Patriotism is a meaning and act that generates the meanings of dignity, honor, sense of belonging and self-pride in the heart of man.

Patriotism is clearly understood through texting and mind.

Through text: In Qura'n, some holy verses highlighted the strong link between man and his country as mentioned in the verse of transferring the Qibla (the direction taken by Muslim people when praying); and supplication for home country as in the supplication of Prophet Ibrahim (peace be upon him) for Mecca's people. It is also apparent in the holy verses calling for punishing those corrupting in their home countries by docking them in exile and fighting with the infidels if they force the Muslims out of their home country.

Sunnah also has referred to prophet Mohamed's love and belonging to both Mecca and Madina and that he forced Jewish out of the country only when they broke their pacts. It was also mentioned that the most difficult time experienced by prophet Mohamed when he traveled from Mecca to Taef to call its people to Islam. When he decided to come back to Mecca, it was with difficulty and through the help of Matem Bin Adi. Prophet Mohamed kept the favor of Bin Adi to the extent that he said after Bader Battle: "If Bin Adi were still alive and asked me to free the captives, I would fulfill his demand for the favor he made."

Through Mind: the belonging to the country has been underlined by the mind through the following points:

1. Syllogism: by likening home country to house as both places provide the person with a feeling of stability.
2. Mind Amelioration and Ugliness underlines that all good people have a sense of patriotism; and pray for Allah to keep the home country safe. Those who seek corruption on earth are generally characterized by losing their sense of belonging to their country.

Key Words: Legitimate, National belonging, Patriotism